المحاضرة الرابعة: النظريات البيولوجيا والبيولوجيا الاجتماعية

Biological and Biosocial Theories

أولا مفاهيم أساسية:

Adoption Studies. Studies that have been done with children reared by biological parents compared to their siblings or twins reared by adoptive parents in an attempt to demonstrate a genetic link to criminal behavior. Results have been mixed.

دراسات التبني: الدراسات التي تم إجراؤها على الأطفال الذين تمت تربيتهم بيولوجياً مقارنة الآباء بإخوتهم أو توائمهم التي قام بتربيتها آباء بالتبني في محاولة لإثبات وجود صلة وراثية بالسلوك الإجرامي. وكانت النتائج مختلطة.

Atavism: Part of the theory developed by Lombroso in which a person is a "born criminal." Atavistic or primitive man is a throwback to an earlier stage of human evolution, and will commit crimes against society unless specifically restrained from doing so.

العودة للجريمة: جزء من النظرية التي طورها لومبروزو والتي يكون فيها الشخص "مجرما بالولادة". الإنسان الرجعي أو البدائي هو شخص يعود إلى مرحلة سابقة من التطور البشري، وسوف يرتكب جرائم ضد المجتمع ما لم يتم منعه على وجه التحديد من القيام بذلك.

Behavioral Genetics.This covers a range of theories in which a combination of genetics and the environment influences behavior .

علم الوراثة السلوكية. يغطي هذا مجموعة من النظريات التي يكون فيها مزيج من علم الوراثة والبيئة يؤثر على السلوك .

Evolutionary Theory. A broad-based view that certain types of criminal behavior are genetic and passed down from one generation to the next through evolutionary processes of natural selection and survival.

النظرية التطورية. وجهة نظر واسعة النطاق مفادها أن أنواعا معينة من السلوك الإجرامي وراثية وتنتقل من جيل إلى آخر من خلال العمليات التطورية من الانتقاء الطبيعي والبقاء على قيد الحياة.

Gene-Based Evolutionary Theory. A general approach that suggests that the process of natural selection has resulted in criminal genetic tendencies that are passed down from generation to generation.

النظرية التطورية القائمة على الجينات. نهج عام يشير إلى أن عملية أدى الانتقاء الطبيعي إلى ميول وراثية إجرامية تنتقل من جيل إلى جيل

- **The fundamental concept behind the early biological theories was the belief that individual difference could be scientifically measured.**

كان المفهوم الأساسي وراء النظريات البيولوجية المبكرة هو الاعتقاد بأن يمكن قياس الفروق الفردية علميا .

- **Early** biological theories view criminal behavior as the result of a defect in the individual. This defect can be biological or genetic in nature, and serves to separate the criminal from the law-abiding citizen. Contemporary biological theories concentrate more on variations in genetic and other biological factors in interaction with the environment, and are less likely to refer to biological defects or abnormalities.

تنظر النظريات البيولوجية المبكرة إلى السلوك الإجرامي على أنه نتيجة لخلل في فرد. يمكن أن يكون هذا العيب بيولوجيا أو وراثيا بطبيعته ، ويعمل على الفصل المجرم من المواطن الملتزم بالقانون. النظريات البيولوجية المعاصرة التركيز أكثر على الاختلافات في العوامل الوراثية والبيولوجية الأخرى في التفاعل مع البيئة ، وأقل عرضة للإشارة إلى العيوب البيولوجية أو شذوذ.

- Punishment serves a different goal in biological theories. While punishment may be appropriate to protect society, it will not have a deterrent effect. Because there is an inherent defect or abnormality within the individual, deterrence or the threat of punishment will not affect behavior

يخدم العقاب هدفا مختلفا في النظريات البيولوجية. في حين أن العقاب قد يكون مناسبة لحماية المجتمع ، لن يكون لها تأثير رادع. لأن هناك عيب متأصل أو شذوذ داخل الفرد أو الردع أو التهديد ب العقاب لن يؤثر على السلوك.

- Although early biological theories lacked validity, they were among the first to use the scientific method. The process of measuring body parts, shapes, and sizes (although flawed) represented a dramatic shift from the philosophical approach offered by the classical school.

على الرغم من أن النظريات البيولوجية المبكرة تفتقر إلى الصلاحية ، إلا أنها كانت من بين أول من استخدم المنهج العلمي. عملية قياس أجزاء الجسم وأشكاله وأحجامه (على الرغم من عيوبه) يمثل تحولا دراماتيكيا عن النهج الفلسفي التي تقدمه المدرسة الكلاسيكية.

أولا.النظريات البيولوجيا

يتزعم هذه المدرسة العالم" أنر يكو فيري "E. Ferri "1856-1929" أحد تلامذة "لومبروزو"Lombrose وأستاذ القانون الجنائي، الذي وضع أُسس علم الاجتماع الجنائي، وهو يمثل الاتجاه البيولوجي الاجتماعي في المدرسة الإيطالية القديمة بالرغم من تأييده للعالم" لومبروزو"، وهناك من الباحثين من يرى بأن" فيري " هو المؤسس الحقيقي لعلم الجريمة الحديث. وأياً كان الأمر فإن لـ" أنر يكو فيري" E. Ferri الفضل في تأسيس ما يعرف حالياً بـ" علم الاجتماع الجنائي" Criminal Sociology.

وقد وضع" فيري " أُسساً للجريمة والسلوك الإجرامي بمعادلة تشبه المعادلة الكيميائية أطلق عليها قانون التشبع الإجرامي أو الكثافة السكانية، وأرجعها إلى عوامل ثلاثة هي:

1- عوامل طبيعية: مثل الموقع لجغرافي والمناخ والأحول الجوية.. الخ.

2- عوامل فردية: مثل السن والجنس والخصائص العضوية والعوامل الموروثة.

3- عوامل اجتماعية: مثل كثافة السكان والعادات والتقاليد والتنظيم السياسي والظروف الاقتصادية وغيرها.

وقد التزم " فيري " E. Ferri في بحوثه ودراساته بالمنهج التجريبي الذي سلكه"لومبروزو"Lombros واختار في عام "1881" عينّة تتكون من "300" مجنون و"700" مجرم من السجناء و"711" جندياً كمجموعة ضابطة، وقد راعى في اختيارهم أن يكونوا من الأماكن ذاتها التي ينتمي إليها المجرمون، ومن مستواهم الاجتماعي نفسه، وقسم بحثه إلى قسمين الأول: يشتمل على النواحي البيولوجية، ويضم الثاني: الجوانب النفسية، ثم قام بتصنيف المجرمين إلى الطوائف التالية:

1- المجرم بالولادة أو بالغريزة Born Criminal: وهو المجرم الذي لا يستطيع مقاومة غريزته وما ينتج عن ذلك من دوافع إجرامية ورثها منذ الولادة.

2- **المجرم** المجنونInsane Criminal : وهو المجرم الذي يرتكب الأفعال الإجرامية المخالفة لقواعد المجتمع وقوانينه نتيجة لتخلفه أو لمرضه العقلي.

3- المجرم بالصدفة Occasional Criminal : وهو المجرم الذي يرتكب فعله الإجرامي نتيجة لظروف عائلية وبيئية- اجتماعية وثقافية- أكثر من كونه ناتجاً عن عوامل شخصية أو نفسية متوارثة.

4- المجرم العاطفي Passionate Criminal : وهو المجرم الذي يرتكب جرائمه نتيجة لعدم تمكنه من السيطرة على نوازعه وانفعالاته.

5- المجرم المعتاد Habitual Criminal : وهو المجرم الذي تكونت لديه العادة على ارتكاب الأفعال المخالفة للقانون والعادات والتقاليد الاجتماعية.

وتبين له أن هناك 10% من السجناء و37% من الجنود كانوا بدون التشويه الخلقي الذي ذكره لومبروزو وتؤكد مثل هذه النتيجة أن التشوهات وإن وجدت بكثرة في المجرمين إلاّ أن حالات الاستثناء كثيرة ومتعددة. ولقد حاول أن يعلل ذلك لومبروزو بأننا إذا وجدنا هذه التشوهات في الأمناء من الرجال والسيدات، فإننا نكون أمام طبائع إجرامية لم ترتكب بعد الفعل الظاهري لأن الظروف التي عاشوا في كنفها أدت إلى حمايتهم من إغراء الجريمة. ولكن هذا يعني أن لومبروزو يعترف صراحة أن البيئة تلعب دوراً هاماً في حدوث الجريمة وأن هذا في نفس الوقت يلقي ظلالاً من الشك على نظريته.

وقد توصل فيري من بحوثه إلى أن المسؤولية الجنائية لا تقوم على أساس خلقي وإنما على أساس من التضامن الاجتماعي الذي يفرض على المجتمع مسؤولية الدفاع عن نفسه من خلال تدابير وقائية أكثر منها عقابية.

وأخيراً يمكن إجمال أفكار" فيري " E. Ferri بما يأتي:

1. الجريمة هي نتاج عوامل متعددة " طبيعية وفردية واجتماعية.

2. إصلاح المجرم ليس كافياً، بل يجب بذل الجهود لإصلاح وسطه الاجتماعي.

3. التأكيد على أهمية السياسة الجنائية للوقاية من الجريمة.

من جهة أخرى اهتم الفقيه الإيطالي "رافائيل جاروفا لو"R. Garofalo "1852 – 1934" بالجوانب الفقهية القانونية، لذا يمكن عدّه ممثل الجناح القانوني في المدرسة الإيطالية، وبالرغم من تأييده لأستاذه "لومبروزو " Lombros فيما يتعلق بالمجرم البدائي وصفاته الانحطاطية، إلا أنه لا يقّيم هذه الانحطاطية على أساس عضوي فقط وإنما أيضاً يعدّها انحطاطية عقلية نفسية. لذا نادى بفرضيته القائلة: **إن المجرم ليس ذلك الشخص الذي يحمل خلقة شاذة فقط ولكنه ذلك الشخص الذي يحمل نفساً شاذة** ." فالمجرم له نظام نفسي خاص، لذا فإنه أكد على الشذوذ النفسي للفرد واهتم بعلاقة هذا الشذوذ بالسلوك الإجرامي. ورأى أيضاً أن الفرد ليس حراً في تصرفه بل هو مجبر على إتيان فعله نتيجة استعداده وظروفه المختلفة، وعلى ذلك يجب أن يعامل على ضوء مايظهر من دراسة طبيعته وشخصيته وما يكتنفها من ظروف اجتماعية.

وأكد"جاروفا لو" على عدم جدوى وصف الجريمة وتصنيفها، وبهذا رفض التعريف القانوني للجريمة على أنها "رد فعل مخالف للقانون الجنائي يتطلب عقوبة أو إجراءً احترازياً، وذلك– حسب رأيه– تعريف ينقصه كثير من التحليل العلمي. فهو يرى أنّ الجريمة سلوك منافٍ ومسيء لعنصرين أساسيين هما: وجدان المجتمع Pity، والأمانة Probity.

وهذان العنصران يشكلان–حسب رأيه– أُسس الحياة الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، ومن واجب المجتمع هنا أن يدافع عنهما ويقف ضد كل من يسيء إليهما. والمجرمون هم الذين ينقصهم هذان العنصران.

ويتفق"جاروفا لو "Garofalo مع "فيري" في العوامل الأساسية التي تشكل الدوافع التي تكمن خلف السلوك الإجرامي وهي العادة والعرف والطقس واستعمال المواد الكحولية وغيرها من العناصر ذات الطبيعة الاجتماعية.

أمّا رأي " جاروفا لو "Garofalo في **العقاب** فكان رأياً قاسياً في بعض الأحيان فهو يرى بأنه يجب أن يكون العقاب متناسباً مع صنف المجرمين، ويدعو لإبادة صنف القتلة لإستحالة إصلاحهم، ويرى ضرورة

حجز مجرمي العنف عن المجتمع لمدد غير معلومة، أمّا صنف السرّاق فيجب عزلهم في أماكن بعيدة وإجبارهم على العمل لسد نفقاتهم المعاشية خلال فترة عزلهم. في حين يجب نفي مجرمي الجنس إلى المستعمرات البعيدة. وهذه الآراء العقابية قد أثارت الكثير من الجدل والنقاش بين الفلاسفة وعلماء العقاب والجريمة لأنها تعد آراء قاسية تجاه الشخصية المجرمة وتكلف المجتمع كثيراً من الأموال والجهود.

قراءات نقدية:

لاشك أن النظرية الإيطالية بشقيها القديم والحديث كان لها الدور الأساس في تفسير الظاهرة الإجرامية تفسيراً علمياً قائماً على الحقائق الواقعية بعيداً عن الأفكار الميتافيزيقية والأخلاقية والدينية، بسبب اعتمادها المنهج التجريبي والملاحظة في البحث والدراسة. ومع ذلك فقد تعرضت هذه النظرية لجملة من الانتقادات أهمها:

1 – بطلان الأساس التجريبي الذي بني عليه" لومبروزو " نظريته الأولى، حيث اقتصرت دراسته على فحص جثث وأجسام المجرمين الأحياء منهم والأموات، ولم يستخدم مجموعة ضابطة من غير المجرمين، كما أن عينة البحث التي استخدمها لم تكن ممثلة تمثيلاً صحيحاً للظاهرة محل الدراسة لا من حيث عدد المجرمين ولا من حيث نوع الجرائم، الأمر الذي أفقدها المنهجية العلمية.

2– القول بأن الصفات الوحشية والبدائية التي أكد عليها" لومبروزو" تعوزه الدقة، وفيه نوع من المغالطة، لأن المجتمع البدائي لم يكن جميع أفراده من المجرمين، كما أنه لا يمكن التحقق من أن الإنسان الأول كان يعيش على سفك دماء أخيه، فهذه أفكار غيبية بعيدة عن النهج العلمي الاختباري، من هنا خرجت أساسات هذه النظرية عن المنطق السليم. وهنا أكد بعض العلماء ومنهم" نيكولاس بندا " Nichlas Pende أن الدراسات المتعلقة بالسلالات البشرية تؤكد أن الإنسان البدائي كان له صفات نفسية راقية متميزة عن الحيوان، وإن كانت لم تصل إلى مرتبة رقي نفسية الإنسان الحديث.

3– أغفل" لومبروزو " دور العوامل الأخرى لاسيما الاجتماعية أو البيئية في شخصية المجرم وفي الدفع به إلى هاوية الجريمة، وهذا دعا تلميذه" فيري " إلى الاهتمام بدراسة هذا الجانب من العوامل.

4– استخفاف النظرية بالحريات والضمانات الفردية، مع الإخلال بمبدأ الشرعية عندما نادت باتخاذ تدابير استئصاليه قاسية ضد فئات المجرمين لاسيما المجانين والمجرمين بالعادة وغيرهم من المجرمين على نحو ماذكر"جاروفا لو ".

5- قول النظرية **بحتمية** الجريمة وإنكارها المطلق لحرية الاختيار.

6- إهمالها لاعتبارات العدالة وما استتبعه ذلك من إنكار للمسؤولية الجنائية.

7- قولها بوجود نوع ثابت من الجريمة غير مختلف عليه لا في الزمان ولا في المكان، وهي الجريمة الطبيعية القائمة على الجوانب الأخلاقية والقيم الاجتماعية مشككة بالمفهوم القانوني للجريمة على نحو ما ذكره"جاروفا لو " هو قول لا يخلو من التناقض أيضاً.

إن الانتقادات السابقة لا تقلل من القيمة العلمية للأفكار التي جاءت بها النظرية الإيطالية لاسيما فيما يتعلق بنظرتها الإنسانية إلى المجرم واعتمادها على المنهج العلمي القائم على التجربة والملاحظة وحثها على التدابير الإصلاحية والاحترازية، وقد تركت هذه الأفكار الوضعية بصماتها في التشريعات العقابية، وانتهت إلى تفريد العقوبة في القانون وفي المحاكمة وفي التنفيذ.

ثانيا: البيولوجيا الاجتماعية:

قدّم مصطلح "البيولوجيا الاجتماعية" في كتاب "البيولوجيا الاجتماعية: البناء الجديد" الذي ألفه ويلسون (Wilson1975)باعتباره "دراسة منهجية للأساس البيولوجي لكل السلوكيات الاجتماعية (Wilson, 1975, 4)." ويبدو أن ويلسون يقصد بـ "الأساس البيولوجي للسلوك" الإشارة إلى الأسباب الاجتماعية والبيئية المسؤولة عن تطور السلوك بين الحيوانات، وليس الأسباب العصبية أو النفسية للسلوك لدى الأفراد. ومع ذلك، فقد تصور ويلسون بوضوح أنه سيكون للبيولوجيا الاجتماعية وعلم الأعصاب تفاعلات نظرية مهمة .(Wilson, 1975, 5) إن إشارات ويلسون إلى التطور تشير عادة إلى التطور من خلال الانتقاء الطبيعي، بالرغم من قبوله أن تسفر عملية الانتقاء تلك على المجتمعات الحيوانية عن نتائج غير قابلة للتكيف على مستوى السكان.[1]

وبناء عليه؛ فإن أحد المعاني المحتملة في البيولوجيا الاجتماعية هو المجال الذي عرّفه ويلسون في فصل الحيوان غير البشري من كتابه على أنه: التوجهات المنهجية في التكيف لفهم دوافع السلوك الحيواني وطبيعته. ولكن مصطلح "البيولوجيا الاجتماعية"، والذي استُخدم بشكلٍ خاصٍ في العمل الذي وصفه في معظم كتابه، كان مصطلحاً حديثاً، واستخدمه للإشارة إلى عمل العلماء الذين لم يصنفوا أنفسهم تحت هذا

[1] https://hekmah.org/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9/

المسمى. كما لم يكن اسم "عالم البيولوجيا الاجتماعية" مقبولًا كلياً من قِبل هؤلاء العلماء. بدلاً من ذلك، في حين استمر عددٌ قليلٌ من العلماء في استخدام مصطلح "البيولوجيا الاجتماعية " لوصف عملهم.

ثالثا. البيولوجيا الاجتماعية كعلم بيئة سلوكي بشري

علم البيئة السلوكي البشري(HBE) ، أو علم البيئة التطوري البشري، هو علم الاجتماع التطوري الحالي الأكثر ارتباطًا بالمشروع الاجتماعي البيولوجي الأصلي؛ إنه المشروع الذي لا يزال يشار إليه أحيانًا باسم "البيولوجيا الاجتماعية" من قبل بعض فلاسفة العلم (Griffiths, 2008; Sterelny and Griffiths, 1999). غالباً ما يتم استخدام "البيولوجيا الاجتماعية" بهذه الطريقة كمصطلح معاكس لمصطلح "علم النفس التطوري"، وهو مشروع علم اجتماعي تطوري حالي آخر مستوحى من علماء البيولوجيا الاجتماعية الأوائل، كما طُوّر كثيراً من كيفية تصور علم البيولوجيا الاجتماعية المبكر: للحصول على مناقشة أكثر للموضوع، انظر مدخل علم النفس التطوري. الأسماء الشائعة الأخرى لعلم البيئة السلوكي البشري هي "الأنثروبولوجيا التطورية" (Smith, 2000)أو "الأنثروبولوجيا البيئية الداروينية" (Vayda, (1995)نظراً لأن معظم ممارسيها لديهم خلفية في أقسام الأنثروبولوجيا أو يعملون فيها، ويستخدمون العمل الميداني الأنثروبولوجي باعتباره الوسيلة الرئيسية لاختبار فرضياتهم حول السلوك البشري). تُستخدم الأسماء المختلفة عندما يؤكد الباحثون المعنيون على روابط مجالهم بالأنثروبولوجيا أو مع البيئة السلوكية غير البشرية.

يشترك علم البيئة السلوكي البشري كثيراً مع البيئة السلوكية غير البشرية الموصوفة أعلاه. في التركيز على السلوك تحديدا، بدلاً من الآليات النفسية الموصوفة في علم النفس التطوري. على عكس علم البيئة السلوكي غير البشري، فقد استمر علم البيئة السلوكي البشري في استخدام مناورة النمط الظاهري لغرافين (Grafen, 1984)، حيث لا يحاول ممارسوها عادةً اكتشاف أو وصف الموارد الجينية أو غيرها من الموارد المستخدمة في تطوير السلوك الذي يهتمون به؛ ولا يحاولون عادة اكتشاف علم النفس الأساسي. ومع ذلك، هناك بعض الاختلافات في محور الاهتمام، من حيث اختلاف الأسئلة حول السلوك البشري التي يتناولها علماء علم البيئة السلوكي البشري عن تلك التي يتناولها علماء علم البيئة السلوكي غير البشري أحياناً.

إن الغرض الرئيسي من نهج علم البيئة السلوكي البشري هو الافتراض بأن استراتيجيات السلوك البشري هي **تكيفات** إرشادية لتحديد الأسباب البيئية المحلية التطورية والحالية للاختلاف في السلوك البشري. كان

أحد الأمثلة القياسية اللطيفة من منطق علم البيئة السلوكي البشري هو عمل هيلارد كابلان وكيم هيل على استراتيجيات اختيار الفريسة بين خبراء الصيد والالتقاط في قبيلة آشي في باراغواي.

إذا كانت استراتيجيات السلوك البشري تكيفات، فمن المتوقع أن تكون العلاقات بين الاستجابات السلوكية والظروف البيئية المحلية التي تشبه تلك الموجودة في الماضي التطوري البشري هي الأمثل محلياً، مع افتراض ثبات العوامل الأخرى؛ هذا يعني أن شروط الاستجابة للاستراتيجية ستكون (كما يُزعم) هي تلك التي جعلت اللياقة السلوكية تزداد في البيئة التي تطورت فيها، وفي أي بيئة مشابهة بشكل ملائم، إلى جانب شروط الاختيار الإضافية المعقولة .(Irons, 1998) يميل مختصو علم البيئة السلوكي البشري، مثل علماء البيئة السلوكيين الذين يدرسون الحيوانات غير البشرية، إلى استخدام النمذجة المثلى لتحديد الاستراتيجية التي ستكون أقصى قدر (إذا كان محلياً) من اللياقة البدنية في الظروف التي تطورت فيها. تماماً كما هو الحال في البيئة السلوكية غير البشرية، سيحدد النموذج استراتيجية، بما في ذلك ظروف الاستجابة والاستجابات السلوكية العلنية المختلفة لها، والتي من شأنها زيادة اللياقة إلى أقصى حد في ظل مجموعة من شروط الاختيار المقترحة في الماضي التطوري. قد تكون شروط الاختيار هذه إما صريحة أو ضمنية في النموذج، أو افتراضات النموذج.

رابعا.انتقادات رئيسية لعلم البيولوجيا الاجتماعية وعلم البيئة السلوكي

هناك عدد من الانتقادات الفلسفية لعلم البيئة السلوكي وأساليبه؛ سيتناول هذا القسم بعض هذه الانتقادات.

1. التكيف

ربما كانت أهم الانتقادات الموجهة إلى "البيولوجيا الاجتماعية الشعبية" أنها كانت شديدة التكيف؛ يتم توجيه أنواع مماثلة من الانتقادات إلى سلالات البيولوجيا الاجتماعية الحديثة، مثل علم البيئة السلوكي. علماء البيئة السلوكيين، بما في ذلك مختصو علم البيئة السلوكي البشري هم في الحقيقة متكيفون منهجيون (Godfrey Smith, 2001)، من حيث أنهم يفترضون أن الانتقاء الطبيعي يعمل على تحسين السمة التي يدرسونها كاستدلال، من أجل بناء أشياء أخرى حول تلك السمة؛ وهكذا لا يلتزمون بالضرورة بشأن قوة الاختيار الطبيعي من جانبهم (كما تمت مناقشته سابقًا). قاد هذا العديد من علماء البيئة السلوكية إلى اعتبار انتقادات غولد وليونتين (1979) بمثابة حكاية تحذيرية، بدلاً من كونها موجهة إليهم بشكل صحيح – انظر، مثلاً، اعتراض جولد وليونتين بأن فرضيات التكيف لم تكن قابلة للاختبار، ويمكن لعلماء البيئة

السلوكيين دحضها بسهولة .(Mayr, 1983) وبالمثل، رد باركر وماينارد سميث (1990) على اعتراض جولد وليونتين بأن خبراء التكيف لا يأخذون في الحسبان بشكل صحيح قيود النشوء والتطور؛ ناقش باركر وماينارد سميث بأنه يتم أخذها في الاعتبار – حتى عندما لا يتم تمثيل قيود التطور والمفاضلات بشكل صريح في النماذج المثلى، فإنها غالباً ما تكون مدمجة في مجموعة الاستراتيجيات أو تكون ضمنية في تلك النماذج. ومع ذلك، فمن المعقول الإشارة إلى أن دراسة باركر وماينارد سميث لم تستجب بالكامل لاعتراض غولد وليونتين: أدرك جولد وليونتين أن النماذج التكيفية تلجأ إلى القيود؛ كان قلقهم هو أن مثل هذه القيود يتم مناشدتها بشكل خاص لملء الفجوات في النماذج، ولا تخضع لأي اختبار خارجي.

2.توريث الصفات السلوكية

بينما يبدو اتهام علماء البيولوجيا الاجتماعية الأوائل بأنهم كانوا من مؤيدي **الحتمية الجينية** بكونه اتهاماً غير عادلاً، غير أن هناك اعتراض ذو صلة يمكن عزوه إلى كل من البيولوجيا الاجتماعية ، والأشكال اللاحقة لعلم البيئة السلوكي البشري وغير البشري، بمعنى لكي تتصف أي سمة بكونها تكيفاً فإن ذلك يتطلب أن تكون هذه السمة قابلة للتوريث، وأن معظم السلوكيات البشرية ليست وراثية.

إن القول بأن السمة قابلة للتوريث بأبسط معانيها هو فقط القول بأنه إذا كان الوالد يمتلك هذه السمة، فإن السمة تميل أيضاً إلى الظهور في السلالة (أي أن نقول إن السمة قابلة للتوريث تعني ببساطة أن السمة موروثة بشكل موثوق).. من المفترض أن يكون التوريث بهذا المعنى مطلوباً **للانتقاء الطبيعي** لأنه من أجل أن ينشر الانتقاء الطبيعي متغير T في مجتمع ما، عندما يزيد T متوسط عدد نسل أصحابه، يجب أن يكون لدى هذه السلالة أيضاT بشكل موثوق إذا انتشرت T على حساب المتغيرات الأخرى. ومع ذلك، تكمن المشكلة في أن العديد من السمات السلوكية البشرية لا يبدو أنها قابلة للتوريث بهذه الطريقة: فهي تميل إلى الاختلاف بشكل كبير عبر الثقافات والبيئات وحتى داخلها، في حين أن التباين الجيني البشري منخفض جداً بحيث لا يُمكن تفسير هذه الاختلافات.

ناقش بعض الفلاسفة بأنه لا يُمكن فهم جميع السمات التي يتم نقلها أو تعلمها ثقافياً بشكل صحيح باستخدام أساليب التكيف، لأن العديد من هذه السمات ليست وراثية حتى في هذا المعنى الأضعف، وبالتالي لا يُمكن أن تكون تكيفات .(Driscoll, 2009; Driscoll and Stich, 2008; Kitcher, 1990) والأسوأ من ذلك أن مثل هذه السمات يمكن أن تبدو شديدة التكيف مع النماذج التطورية. مثلاً، السمات التي تخضع للتعلم الفردي شديد التكيف أو عمليات الانتقال الاجتماعي التكيفية في السكان Henrich)

and Boyd, 1998؛ (Henrich and Gil-White, 2001 ومع ذلك ليست تكيفات لأنها لا تتشكل عن طريق الانتقاء الطبيعي.

3.التركيز السلوكي مقابل التركيز النفسي:

تستند الحجج المؤيدة للادعاء القائل بأن الآليات النفسية فقط هي التي يجب اعتبارها تكيفات، على فكرة أن السلوك هو في الحقيقة مجرد مظهر من مظاهر علم النفس الأساسي. ليس السلوك تكيفًا بقدر ما هو تأثير التكيف. يناقش كوزميديس وتوبي (Cosmides and Tooby, 1987) أيضًا بأن التعميمات التطورية المثيرة للاهتمام تظهر على مستوى علم النفس، وليس السلوك. مرة أخرى، ومع ذلك، تعتمد هذه الحجة على فهم "السلوك" على أنه "سلوك ظاهر"، وهي أجزاء فردية من النشاط البدني لا يتم إنتاجها بالضرورة بمرور الوقت والتي لا تحدث في تعميمات علم الاجتماع التطوري، مقابل فهم "السلوك" على أنه "آليات سلوك معقد" التي يبدو أنها قابلة للانتقال (عبر الآليات النفسية التي تدعمها). ومن الجدير بالذكر أيضاً، أن مثل هذه الاستراتيجيات هي موضوع دراسات تطورية مهمة – مثل نظرية اللعبة التطورية، التي يعتمد عليها كوزميديس وتوبي أنفسهم: إن الحجة لتوقع أن يكون نموذج "كشف الغشاشين" الشهير (Cosmides and Tooby, 1992; Cosmides, 1989) مشتق من عمل آكسلرود وهاميلتون (Axelrod and Hamilton 1981)وترايفر (Triver, 1971) يوضح أنTIT FOR TAT ، والتي تتطلب من لاعبيها أن يكونوا قادرين على اكتشاف الغشاشين بناءً على تفاعلات الإيثار المتبادل، هي استراتيجية تطورية مستقرة.

ثمة نقاش آخر في الدراسات الفلسفية للتفكير، وهو يكمن في الادّعاء بأن السلوكيات ليست الأهداف المناسبة لتفسيرات الانتقاء الطبيعي، وهو أن السلوكيات ليست شبه مستقلة (Lewontin, 1978) بالطريقة التي يجب أن تتطور عن طريق الانتقاء في حد ذاتها (Sterelny, 1992; Sterelny and Fitness, 2003; Sterelny and Griffiths, 1999). هذا لأن العديد من الاستراتيجيات السلوكية ستعتمد على آليات متعددة الأغراض لا يُمكن أن تتغير أثناء التطور دون أن تتفرع تلك التغييرات إلى الاستراتيجيات الأخرى التي تنتجها تلك الآليات. ومع ذلك، يرى دريسكول (Driscoll, 2004)بأن هذا ليس هو الحال بالضرورة؛ فلكي تكون الآليات متعددة الأغراض قادرة على إنتاج أكثر من استراتيجية، يجب أن يكون لها خوارزميات متفرعة؛ يجب أن يحدث التباين في أي من هذه الآليات اللازمة لتوليد الانحراف في أي

استراتيجية واحدة فقط على الفرع ذي الصلة بالاستراتيجية المعنية وتحتاج إلى تأثير ضئيل أو معدوم على الفروع الأخرى. بدلاً من ذلك، ما إذا كان التفسير التطوري موجهاً بشكل صحيح على المستوى السلوكي أو النفسي يعتمد على الحالة.

ختاما:

على الرغم من تاريخ البيولوجيا الاجتماعية المعقد، غير أنها لا تزال موضع اهتمام الفلاسفة ولها بعض الأهمية في بعض المناقشات الفلسفية الهامة. أحد هذه الأسئلة هو ما إذا كان ينبغي فهم البشر على أنهم يتمتعون بطبيعة، أو مجموعة من السمات التي تعتبر بالنسبة إلى ويلسون تلك الصفات الموروثة التي حُدِّدت في السكان عن طريق الانتقاء الطبيعي (Wilson,. 1978)وبالتالي يمكن اكتشاف هذه "الطبيعة" وفهمها باستخدام أساليب التكيف المعيارية المستخدمة في مجالات أخرى من علم الأحياء. الأهم من ذلك، يفترض ويلسون بأن بعض الخصائص التي تشكل الطبيعة البشرية سلوكية تحديدا.

أسئلة للتمعن والتفكير:

1. يتم تمرير أشياء مثل لون العين ولون الشعر وملامح الوجه والشخصية من جيل إلى جيل. إذا كان هذا صحيحا ، فلماذا لا نتوقع أشياء مثل السلوك الإجرامي الذي يجب أن ينتقل أيضا؟
2. من الثابت أن السجناء كسكان لديهم معدل ذكاء أقل من الأشخاص في بقية المجتمع. هل تثبت هذه الحقيقة وجود صلة وراثية أو بيولوجية في فهم الجرائم؟
3. هل يجب على العلماء الاستمرار في البحث عن الأسباب البيولوجية للإجرام؟ يمكن أن مثل هذا يتم مهاجمة البحث على أساس أنه يروج للعنصرية أو الجنسية أو القائمة على أساس طبقي القوالب النمطيه؟
4. كيف ينبغي للتاريخ أن يحكم على عمل لومبروزو؟ هل من العدل استخدام المعايير في 2024 للحكم على العمل الذي قام به في عام 1876؟
5. قارن بين النظريات البيولوجيا والبيولوجيا الاجتماعية في تفسير السبلوك الاجرامي؟